مصطفى محمود

٥٥ مشكلة حب

دار المعارف

مصطفى محمود

٥٥ مشكلة حب

الطبعة السابعة

دار المعارف

:: سهر الليل :: ليلاس ::
www.liilas.com/vb3

مقدمة

بعض الأمراض يشفيها الكلام ... مثل أمراض النفس وعذابات الوجدان وجراح القلوب .

وليس الكلام هنا النصائح والعظات والعبر والآراء السديدة .
ولكنه كلام الإنسان لنفسه ... إفضاؤه ... ونجواه ... واعترافه بما يؤرقه .
الإفضاء ... مجرد الإفضاء ... والإفشاء ... والاعتراف ولو للورق .

فض مكنون القلب والتعبير عن مشاعره الحبيسة المخنوقة المذبوحة فى طيات الضلوع .. يشفى ويريح ...
الدمعة المسكوبة لا تضيع .... وإنما هى تفتح نافذة للعاطفة تتنفس منها .
والضحكة المريرة تفك ضائقة الروح .
والآهة تفرج عن القلب .
ومع هذه الدموع والضحكات والآهات تعيش صفحات هذا الكتاب .

إنها رسائل مختارة من مئات الاعترافات التى وصلت إلىَّ من قراء عديدين ... تعذبوا ... وسهروا ... وتأملوا ... وسخروا من الدنيا ومن أنفسهم .

وبعضها طرائف تثير الاستغراب .
وبعضها بلايا تثير الضحك .

وبعضها آلام تبعث على البكاء .

ولكن كلها صادقة ... واقعية ... فيها الأرض ... بأوشابها وترابها وجواهرها الدفينة ...

مصطفى محمود

:: سهر الليل :: ليلاس ::
www.liilas.com/vb3

١

مثقفة

كان حلمى دائمًا أن أتزوج من مثقفة جامعية .. تفهمنى وأفهمها . وتشاركنى كفاحى ، وتقف إلى جوارى فى معركة الحياة ..

وقد تحقق هذا الحلم .. للأسف ..

ووجدت إلى جوارى امرأة من نوع غريب .. امرأة قضت أربع سنوات فى كلية الآداب لتتعلم فنًا واحدًا .. وهو فن الانتصار على الرجل .

إنها تتكلم فى لباقة .. وتلبس شيك .. وتلعب الجولف .. وتعزف على البيانو .. وتقرأ الكتب .. ولا يعجبها شىء فى الدنيا ..

إذا سألتها أين تذهب ومتى تعود مطت شفتيها وعاتبتنى لأنى لا أثق بها .. إذامنحتها ثقتى عاتبتنى لأنى لا أغار عليها كما يجب ، فإذا اشتعلت حبًا وغيرة .. قالت لى : لتكن أصدقاء .. إن خير الزواج ما قام على الصداقة .. فإذا أعطيتها الصداقة أشعرتنى بأهمية الجنس ... فإذا وجهت همى إلى الجنس .. قالت لى : أوه .. أنت همجى .

كنا فى الصعيد ، وظلت تشكو حتى انتقلنا إلى القاهرة .. وهى الآن تشكو .. لأنها تريد السفر إلى أمريكا ..

إنها تعسة دائمًا .. طموح لدرجة المرض .. تطلب كل شىء لمجرد أنها تحمل « دبلوم » قسم إنجليزى من كلية الآداب ، وتعمل نصف يوم كما يعمل الرجل .. ومع هذا فهى أول كل شهر تتحول فجأة إلى بنت بيت وتنتظر الإنفاق عليها ..

بيتنا فوضى .. به طباخ وخادمة .. بالإضافة إلى أمى التى تعمل كخادمة ودادة للأطفال .. وأمى الآن عجوز بلغت السن التى يجب فيها أن تستريح .. ومع هذا أجد أحيانًا مناظر أتألم لها من قلبى .. أجد أمى وعلى حجرها طفلان .. والمدام ممدّدة على الفراش بعد عودتها من الشغل ، وفى يدها جريدة فرنسية .

لقد بدأت أعتقد أن زوجتى شقية معذبة .

إنها لا تعرف ماذا تفعل بنفسها أو بثقافتها أو .. بى . وهى أيضًا لا تعرف معنى الثقافة . ولكن ماذنبى أنا ؟ وماالحل ؟..

* * *

إن ذنبك هو ذنب ملايين الرجال والنساء .. وذنب الجيل التعس الذى يتغير بسرعة ويتلقى الهزة العنيفة التى تتلقاها عربات الترام حينما تندفع القاطرة فجأة بدون تدرج إلى الأمام ..

المرأة العصرية أمام وهج الثقافة والحرية الفجائية .. أصبحت مهزوزة موزعة الرغبة لا تعرف ماذا تريد .. ولهذا تندفع فى عدة طرق فى وقت واحد .. إنها تريد السفر والتجول حول العالم .. وتريد الحب .. وتريد الجنس .. وتريد المغامرة .. مجرد المغامرة .. وتكفر بالقديم لمجرد أنه قديم . وتهلل للجديد لمجرد أنه جديد .. وتطلب ألف شىء ولا تقدم فى مقابله شيئًا واحدًا ..

إن إحساسها بحقوقها أكثر من إحساسها بواجباتها . إحساسها بحريتها أكثر من إحساسها بمسئوليتها . لأنها تمر بتجربة جديدة ..

إنها تخرج لأول مرة من القفص .. فلا تفكر فى شىء إلا فى التصفيق

بجناحيها والطيران فى الجهات الأربع ..

والحل هو الصدام .. ليس هناك مفر من الصدام بينكما .. عامل زوجتك المثقفة على أنها غير مثقفة .. وعلمها بالشدة والحزم إن معنى الثقافة هو المسئولية ..

٢
أحبه جدًا

حينما أبدأ أروى قصة حياتي .. لا أجد تلك الذكريات السعيدة التى تعود أن يرويها الناس عن طفولتهم ..

وكل ما أذكره خيالات حزينة ..

أبى الذى يضيع أمواله فى الخمر والقمار . وأمى التى تكدح لتوفر لنا الطعام ..

وحياتى فى المدرسة الداخلية..

والحماقات .. والسقطات الصغيرة .. وروايات الحب .. والكتب اللعينة الخليعة ..

وكل ما يمكن أن يحدث لفتاة جميلة جدًّا .. وفقيرة جدًّا . ولكن شكرًا لذكائى فى النهاية .. لقد استطعت أن أحصل على زوج عجوز ظريف واسع الثراء ..

لا تلمنى ..

كان لابد أن أفعل شيئًا لأعيد لأسرتى مركزها .. ولأعيش وأولد من جديد .. وأرى الدنيا .. وأحب .. نعم أحب ..

إن عزائى الوحيد فى الحضن العجوز الذى كان يضمنى كل ليلة أنى كنت أحب .. وأن الكهول لا يعيشون طويلا .. وأن حريتى سوف تعود إلىّ مرة أخرى .. وأتزوج من جديد الرجل الذى أحبه .. ولم تخيب الأيام رجائى .. فقد

مات زوجى .. ولكن حريتى التى كنت أتلهف عليها كانت حملا ثقيلا على أعصابى .. وما لبثت أن تحولت إلى محنة .. فقد ظهرت عقبة كئود حالت بينى وبين الاستسلام إلى الحضن الحبيب الذى طالما انتظرته وحلمت به ..

لا تسخر منى .

إنه عجوز آخر ظريف واسع الثراء .. عرض علىّ الزواج .

لا تقل إنى مادية .. فأنا أحب حبيبى وأبكى من أجله ولا أنام .. ولكنى أعود فأذكر حياتى الأولى الحزينة .. التى قتلها الفقر وأتعذب وأبكى .. وأتردد بين حبى والعجوز الجديد الذى يغازلنى بثروته ..

ماذا أفعل ؟..

دلنى على طريق السعادة ..

* * *

إنك تبكين من أجل أشياء لا تشعرين بها على الإطلاق .. أنت لا تحبين حبيبك ..

إن مجرد ظهور منافس كهل واسع الثراء يجعلك ترجفين من الحيرة .. والهلع .. الهلع على الثروة الجديدة التى قد تضيع باستسلامك لحبك .

إنك تشبهين التاجر الذى يريد أن يجمع إلى سمعة التاجر الناجح .. سمعة الإنسان الرقيق الإحساس .. وهو يشقى الناس من أجل أن تنجح تجارته .. ويبكى من أجل أن يصدقوا أنه طيب القلب ..

إن زواجك من الشاب لن يسعدك ..

إن مطلبك الوحيد من الدنيا هو مزيد من الغنى .. ومزيد من العجائز .

إن قلب الإنسان ينقصك .. حتى لو بكيت إلى آخر العمر ..

إن الحب عندك مجرد حماقات وسقطات صغيرة يجب ألا يستسلم لها العقلاء أمثالك ويضحون فى سبيلها بثرواتهم ..

سوف تتزوجين شبانًا !! ولكن ليس الآن .. وإنما عندما تبلغين السبعين !! ويصبح هذا اللون من الزواج هو أروج تجاراتك !!

٣
رد مقنع

هى مدرسة .. وأنا مدرس ..

تبادلنا حبًا عميقًا جارفًا .. وتعاهدنا على الزواج .. وبدأنا نحلم بعشنا السعيد .. ونفكر فى ميزانية عامنا الأول ..

هى تتقاضى ٤٥ جنيها .. وأنا ٤٥ .. أى أن إيرادنا تسعون جنيها فى الشهر .. ندير بها بيتًا أنيقًا .. وننفق منها على طفل ..

وبدأنا نكتب أحلامنا .. أرقامًا على الورق ..

نفقات الأكل .. والشرب .. والثياب .. والمواصلات .. والخادم .. والبواب .. والسينما .. والمصيف ..

وتبخرت الجنيهات التسعون .. ومازلنا نكتب .. ونكتب ..

وكان من الواضح أن أحلامنا أكثر من إيرادنا .. وأننا أفقر من أن نبنى العش الأنيق الذى رسمناه فى أذهاننا ..

وبدأنا نفكر ..

قلت لها :

– سوف أسافر إلى السعودية .. وأقضى عامًا فى جدة .. أعود بعده وقد وفرت مبلغًا كبيرًا .. فنتزوج ونبدأ حياتنا ..

وافقت بعد تردد .. وهى تضغط على يدى فى امتنان وتبادلنا قبلة طويلة .

وذهبت إلى السعودية .. وبدأت أحترق وحدى .. لا من نار جدة .. ولكن

من نار فراقها .. وبدأت أرسل لها خطابات طويلة .. أقول لها إنى أكتشف أن الحياة ليست ميزانية ولا أرقامًا . وأن الفرق بين التسعين والألف ليس هو الشيء الذى يسعد ، وإنما الشيء الذى يسعد هو قلبان متحابان يعطف كل منهما على الآخر .. وأننا نستطيع أن نعيش سعداء بجنيهاتنا التسعين .

وكانت ترسل لى قائلة : إنها اكتشفت هذه الحقيقة هى الأخرى ، وأنها غيرت رأيها ..

وكانت خطاباتنا تفيض حنانًا ورقة ..

وحينما عدت .. كنت أريد أن أراها .. وقد تغيرت إلى امرأة جديدة .. تنظر إلى الحب كما أنظر إليه .. على أنه مرتب إضافى وكسب أغلى من الذهب ..

وقد وجدت أنها قد اقتنعت .. اقتنعت جدًا ، وأخذت بهذا الرأى الوجيه .. فتزوجت من زميلى المدرس الذى يتقاضى ٣٥ جنيهًا فقط ..

لقد نجحت كمدرس .. وفشلت كحبيب .. ابك من أجلى !..

* * *

- هناك فئة من الناس تتقن فن الشرح .. ولكنها لا تتقن فن الشعور .. وهؤلاء خلقوا مدرسين بالفطرة .. وأنت من هؤلاء ..

لقد استطعت أن تعطل كل إحساساتها .. وتمسك لها بالورقة والقلم وتشطب على إيرادها وإيرادك .. وعلى العش الأنيق الذى بنياه .. فى أحلامكما .. وقلت .. نحن فى حاجة إلى مزيد من الجنيهات .. وكنت مقنعًا لدرجة أنها أطلقتك من يدها وهى تحبك لتغيب فى حر السعودية .. تجمع لها رحيق الذهب من الحقول .

وحينما قضيت سنة تحت شمس جدة ، وأفقت على حقيقة جديدة ..

كنت غاية فى الإقناع فى تقديم هذه الحقيقة وشرحها .

وبلغ من نجاحك أنها عملت بوصيتك بحذافيرها قبل أن تغلق الحطاب ! فتزوجت من زميلك الفقير الذى لا يتقاضى سوى ٣٥ جنيهًا ..

لقد كنت فنانًا فى تحريك عقلها .. ولكنك لم تحرك قلبها قطّ ..

إنها لم تحبك بالقدر الكافى فى يوم من الأيام .. لقد كانت تحترمك فقط .. وتستمع إليك كالتلميذة النجيبة ..

إن الحب لا يحركه مهندس يمسك بالمسطرة والبرجل ويرصد الأرقام فى ورقة ..

ولكن يحركه شاعر رفيق مجنون ، يلعب على القلب ..

النساء - حتى المدرسات منهن - يعشقن الشعراء والمجانين !

:: سهر الليل :: ليلاس ::
www.liilas.com/vb3

٤

نافذة على الجنة

أكتب إليك من فراشى .. وأنا راقدة مشلولة ..

خمس سنوات تمر أمامى الآن منذ اليوم الذى رقدت فيه وأنا أهذى بالحمى ، وقال الطبيب إنى مصابة بشلل الأطفال .. إلى اليوم . وأنا أكتب لك فى منتصف الليل .. وكل عصب من أعصابى يرتجف .

إنك تستطيع أن تتخيل نفسية فتاة فى الخامسة عشرة .. مشلولة مدقوقة فى فراشها بمسمار .. لا تملك من النشاط إلا مربعًا مساحته متر فى متر .. تحرك فيه ذراعيها ..

إن بعض أنواع الألم لا يمكن أن توصف فى كلمات .. بعض أنواع الألم خرساء ، وحياتى كانت كلها خرساء ..

كان الشىء الوحيد المطلق السراح فى حياتى هو خيالى .. كنت ألوذ بالخيال .. لأحب وأكره وأتزوج وأنجب أطفالا .. وأبنى قصورًا فى الهواء وأسافر إلى أقصى الأرض .. ثم أفتح عينى فى النهاية على حياتى الصغيرة المشلولة .. وأبكى فى صمت ..

هذا العالم الوهمى هو كل ما أملك من سعادة .. حتى ذلك المساء البعيد منذ ثلاثة أشهر ..

ودعنى أصف لك هذا المساء الذى غير حياتى كلها ..

لم يكن فى المنزل أحد سواى أنا والدادة .. وكنت أقرأ كتابًا .. وأسرح بضع

ساعات بين صفحة وأخرى .. حينما دق جرس التليفون .. وأحضرت الدادة التليفون إلى جوارى .. ورفعت السماعة وضعتها على أذنى .. وسمعت رجلا يسأل عن عبد الحميد بك .. فقلت له : إن النمرة خطأ .. فاعتذر وتردد .. ثم قال أليست النمرة كذا وكذا .. فقلت له : لا .. إن هناك فرقًا فى أحد الأرقام ، فضحك قائلا : هكذا الحياة .. فرق رقم واحد فيها يغير من مصير إنسان .. وبدأنا نتبادل حديث المصادفة واسترسلنا فى الحديث . وختم كلامه قائلا : إننى رقيقة . وإنه يسره أن يتمكن من محادثتى بين حين وآخر ..

ووضعت السماعة .. وظللت أنظر إليها برهة وكأنى أنظر إلى نافذة واسعة فتحت أمامى على مشرق شمس ..

ومنذ ذلك اليوم بدأت بيننا علاقة من نوع غريب .. علاقة تشبه الأحلام التى أحلمها .. فيها شبح لا أعرفه .. يحادثنى ويقول لى : أحبك ..

ولكن الشبح كان له هذه المرة وجود فى أرض الواقع .. لأنه مالبث أن قال لى : هل تصفين نفسك ؟

ووصفت له وجهى بدقة .. وسمعته يقول : ما أجملك !

ووصفت له ذراعى ويدى الرقيقتين .. وسمعته يهلل إعجابًا ويقول فى عاطفة : لو كان ساقاك فى جمال ذراعيك فإنك تكونين فاتنة كالدمية ..

وهنا أحست بالسماعة ترتجف فى يدى .. ونظرت إلى ساقى الممددتين كعمودين من خشب ، وظللت صامتة برهة قبل أن ألقى بالسماعة فى مكانها ..

وفى تلك الليلة ظللت متيقظة حتى الصباح ..

هل أحبه ؟

نعم . بل إن أكثر من حب .. إنه حياة .

لقد زاد وزنى فى هذه الأشهر الثلاثة خمسة كيلوجرامات .. وتورد خداى .. وقال الطبيب حينما كشف على ساقى إن بعض الألياف العضلية بدأت تعمل وإنه مندهش كيف بدأ التحسن بعد هذا الوقت الطويل ..

إنه حياتى إذن ..

وهى حياة يتهددها الضياع .. فهو يريد أن يرانى ..

ولو رآنى فسوف أخسره وأخسر نفسى إلى الأبد ..

إنى معذبة تعيسة ..

كيف أهرب منه ومن نفسى ؟

ماذا أفعل ؟

* * *

إنى أشعر بعذابك .. وحيرتك .. وأحس بأنى أمام دراما إغريقية من دراما المصير .. لا مجرد مداعبة تليفونية .. دراما أكبر من عقلى .. أما رأيى فهو أن تستمر هذه العلاقة فى شكلها التليفونى .. ويؤجل اللقاء بينكما حتى يتم شفاؤك .

وفى إمكانك أن تكونى شهرزاد التى تحكى لشهريار كل ليلة قصة .. وتشغله ليلة بعد ليلة حتى تكسب قلبه بعد ألف ليلة وليلة .

٥

أكل مسلوق

أنا شاب فى الثلاثين .. محافظ بحكم تربيتى .. ولكن عملى يحتم علىّ الاحتكاك بالراقصات والممثلات والفنانات من كل لون .

عشت أتنقل بين الكباريهات والاستديوهات والمسارح كمهندس ديكور .. لا تلتقى عيناى إلا بنوع واحد من النساء .. الأرتيست ..

وكنت دائمًا أتجنب هذا النوع وأخشاه ..

كنت أعاشره وأنا فى عزلة عنه .. وأنظر إليه تمامًا كما ينظر أليه متفرج الشاشة فى فضول ، أنجذب إليه وأرهبه ..

إن الراقصة خلف الكواليس .. والممثلة خلف البلاتوه .. والمطربة فى البروفة .. والفنانة بين يدى الماكير وهى تتحرك بدون تكلف .. وتتحدث فى جرأة وصراحة .. وأحيانًا فى وقاحة .. وترسل نظراتها فى إهمال إلى من حولها .. وتغازل .. وتداعب وترفع صوتها بالغناء فجأة .. وتبكى بدون سبب .. وتضحك فى هستيريا .. وتشتم زميلها أو تقرصه فى خده .. أو تلف ذراعها حول عنقه . تحرك المشاعر أكثر مما تفعل على الشاشة . لأنها تمثل طبيعتها . الفن خلف الستار يكون عريانًا .. والحياة تكون عريانة والأعصاب تكون عريانة ..

وجوه البطلات آخر الليل وقد اختلطت فيها المساحيق بالعرق .. عيونهن وقد امتزج فيها التعب والقلق واليأس بالرغبة ، وانطفأ فيها بريق المجد والغرور

تبدو إنسانية .. ضعيفة .. غارقة فى التعاسة ..

والكلمات القليلة التى يتبادلنها فى دقائق الراحة .. تغوص فى القلب ولا تنسى .

هذا الجو المغناطيسى .. ظل يدير رأسى سنة بعد سنة حتى فقدت عقلى فى لحظة ووجدت نفسى أحب .

وأحب من ؟

واحدة من هذا الجو الذى عشت طول عمرى أخافه وأتجنبه

وكان حبًا ملتهبا .. ضعت فيه بضعة أشهر .. أو بضع سنوات .. لا أدرى .. ثم أفقت فجأة لأجد صاحبتى تفعل أى شىء مع أى شخص .. وفى أى وقت . امرأة متحللة تمامًا .. متحللة من كل خلق ومن كل مبدأ .. ومن كل قانون .. تفعل ما يعجبها مع من يعجبها حينما يعجبها .. بصرف النظر عن أى اعتبار .. وتسمى أى شىء تفعله حبًا .

وحاولت أن أنساها .

ومرت سنوات .. تعذبت فيها عذابًا فاق احتمالى ..

والآن تحاول أمى أن تبنى لى حياتى من جديد .. فتخطب لى بنتًا من عائلة طيبة لتكون زوجة صالحة .. ولكن أشعر أنى تغيرت كثيرًا .. فأنا بعد أن تذوقت هذا النوع الملتهب من النساء .. أصبحت أحس بأن بنات البيوت باردات لا حياة فيهن ولا طعم .. جاهزن خال من الملح .. مثل الأكل المسلوق .. صحى ولكنه لا يحرك الشهوة ..

أنا حائر .. لم يعد يعجبنى أحد ..

ماذا أفعل ؟.. أنصحنى .. فأنا لا أستطيع أن أتزوج المرأة التى أحبتها لأنها

بلا أخلاق .. ولا أستطيع أن أحب المرأة التى سوف أتزوجها لأنى لا أحس فيها جمالا !..

• • •

أنا لا أستطيع أن أتصور الجمال بدون سجايا ، لا أستطيع أن أتصور رؤيتك للجمال فى امرأة متحللة من كل خلق ومن كل مبدأ ومن كل قانون .. المرأة التى تفعل ما يعجبها مع من يعجبها .

إن الجمال ليس كلمة .. وليس شكلا .. وليس حركة رشيقة .

إن الجمال فى تعبير هذه الأشياء كلها عن شعور حقيقى صادق ..

إن الجمال فى توظيف الإنسانية لمواهبها توظيفًا جميلا ..

أنا لا يمكننى أن أحس بالجمال فى امرأة تكذب مهما كانت باهرة وذكية ..

إنّ إحساسى بالكذب يقززنى ويجعل الجمال يبدو أمامى مثل الطلاء ..

إن بنت البيت البكر ليست مثل الأكل المسلوق أبدًا .. إن بكارتها وبساطتها وعاطفتها الطليقة المباشرة جمال حقيق ..

إن ذوقك مريض ..

أنت فى حاجة إلى سنة أخرى لتنسى وتغسل قلبك وعقلك من آثار الماضى !

:: سهر الليل :: ليلاس ::
www.liilas.com/vb3

٦

حصان البلدية

كانت القاهرة تصح بالعيد .. والشوارع تشبه فستانًا مزركشًا من ألف قطعة .. والأطفال يرقصون كالأعلام الصغيرة الملونة .. والدنيا فى زفة .. وأنا وحدى ..

لم تكن لى عائلة أجتمع بها على مائدة الفطور لتبادل التهانى ، ولم يكن لى أطفال أودعهم بقبلة على الباب .. لقد مات الأب والأم ، وحملت وحدى أربعين عامًا فى طريق الحياة ..

لم أفكر فى الزواج .. كان غرور الشباب يملؤنى .. فأردت أن أظل حلمًا لكل بيت .. وأعيش حياتى فى بوهيمية متصلة ..

ومرت السنون خفيفة كالريح ..

كنت أبدل عشيقاتى .. كما أبدل أثوابى .. وكما أبدل زجاجات النبيذ الفارغة فى البار الأمريكانى الذى أحتفظ به فى شقتى ..

ثم أفقت ذات ليلة .. لأكتشف أن المشيب يزحف على رأسى ، ولأشاهد حلقات زرقاء تحت عينى . وغضونًا رقيقة حول فمى ..

وقال الطبيب إن ضغط دمى مرتفع .. وكتب لى قائمة طعام لا أتجاوزها .. وحرم على شرب الخمر .. والسهر ..

وبدأت أستيقظ فى الصباح لأغلى البنسون واللبن .. وتلفتُّ حولى لأجد أن السامر قد انفض !

لم أعد الفارس القديم الذى يتسابق إليه المتراهنون .. وإنما أصبحت الحصان العجوز الذى باعه أصحابه إلى البلدية ..

لقد انتهيت ..

ألقى النساء نواتى فى البالوعة بعد أن أكلوا فاكهتى الغضة !

انتهى الشاطر حسن ،

ولم يكن شاطرًا بالمرة .. كان هو أيضا إحدى الزجاجات التى فرغت فى البار واستبدل بها بارمان الحب زجاجة جديدة ..

واليوم .. حينما سمعت أن البلد فى عيد .. خرجت أتمشى فى الطرقات .. ولم أملك نفسى من البكاء ..

كان الناس كأسراب الحمام .. فى جماعات .. وشلل .. وأسر .. وكنت وحدى .. لا أب .. ولا ولد .. ولا زوجة ..

كنت كالفرع الجاف الذى يوشك أن يسقط .

وشربت فى شراهة .. ودخنت فى شراهة .. وأنا جالس على مائدة وحيدة .. فى بار منعزل .

كنت كبطل خرافى من أبطال قصص الرومانس .. ينتحر فى هدوء .

وحينما حملونى إلى البيت آخر الليل .. كنت أحس أنى إمبراطور مخلوع فى المنفى ..

وبدأت أفكر والخمر مازالت فى رأسى ..

يجب أن أتزوج .. نعم يجب أن أتزوج .. وكانت الخمر تعطينى القوة ..

وكانت الحبيبة الوحيدة التى تبقت لى هى أسوأ عشيقاتى شكلا وموضوعًا ..

ولكننا لا نختار حينما نصل إلى البدروم .. أليس كذلك ؟

وليس أمام شمشون بعد أن حلقوا له رأسه إلا أن يختار أى دليلة يلقاها فى الطريق ..

لطالما كنت أرفض الزيجات التى كانت تعرضها علىّ أمى .. والآن ، الكل يرفضنى ..

ليس أمامى إلا هذه النواة اليتيمة التى لفظها الناس تحت موائدهم . فأنا أيضًا نواة أخرى .. فى البالوعة ..

وربما كان زواجنا هو طوق النجاة الأخير .. ألا ترى هذا ؟ أم أنى مازلت مخمورًا ؟!

° ° °

لا ، لست مخمورا ..

بل أنت فى صحوة .. صحوة التجربة المرة .. والحكمة التى أضعت عمرك ثمنًا لها .

إنى أفهمك جيدًا ياسيدى .. ولا أجد ما أضيفه .

أنت كالأفاق الذى ظل طول عمره يرتحل من بلد إلى بلد على قدميه ، وحينما أدركه الإعياء وبدأ يلهث .. تلفت حوله فلم يجد إلا دكة قديمة تخلعت أرجلها ..

نعم أيها الحصان العجوز .. ليس أمامك بعد سباقات هليوبوليس .. إلا عربة الرش ..

تزوج .. وادفع الثمن إلى النهاية .. كمقامر شريف !

٧

برافو

أنا فتاة فى العشرين ، على درجة قليلة من التعليم أهلتنى لأن أعمل خادمة عند باشا سابق .. ولعلك لمست هذه من رداءة خطى وأسلوبى ، ولكنى أعتمد عليك فى إعادة كتابة هذه الرسالة المفككة . ليستطيع أن يفهمها القراء ..

منذ سنة .. ولأختصر لك فى القصة .. كنت ألحظ انشغال سيدتى الصغيرة وعكوفها على التليفون بالساعات تتحدث وتبكى كل ليلة بعد أن ينام البيت كله ..

واستطعت أن أعرف الحبيب المجهول .. وأن أعرف رقم تليفونه .. كان رجلا متزوجًا من أولاد الذوات الذين يترددون على النوادى .. ويتحدثون بلغة فرنسية مكسرة ..

وكنت أشعر بغيظ ، لا أدرى سببه بالضبط ، من هذه العلاقة ..

كنت أرى سيدتى تذوب وجدًا .. وقد تشتمنى .. أو تضربنى إذا قطعت عليها حديثها التليفونى .. ثم أسمعها تقول فى التليفون معتذرة .. دى البنت الخدامة المقصوفة الرقبة ، خلاص كرشتها ..

كنت أخرج أجرر قدمى فى ذل .. وقد تملكنى إحساس بأنى لست آدمية ..

وفى إحدى الليالى وكنت وحدى .. انتابنى فكرة شريرة ، وأمسكت بالتليفون وأدرت الرقم .. فرد علىّ صوت رقيق هو صوت صاحبنا .. فأجبته فى نبرة أرستقراطية بأنى فتاة لا يعرفها تشاهده كل يوم فى النادى وتذوب فيه حبًا ..

فأجابنى وقد أصبح صوته لزجًا معسولا .. أهلا .. أهلا .. ياقورة .. أنا عارفك انتى الوردة الحلوة التى بتقف عند الباب وتطلب شمبانيا كل ليلة ..

قلت له لا .. إه ده .. أنا وحشه كده .. دانت ماتعرفنيش خالص ..

وازداد صوته لزوجة وهو يقول كأنه يترنم : يبقى لازم أشوفك ..

وتكررت المحادثات .. ورفضت أن ألقاه فى كل مرة .. وقلت له إن بابا شديد جدًا .. وإنه مرة ضرب فلاحًا بالرصاص فى العزبة لأنه بص لى وأنا ماشية ..

وتحولت مكالماته إلى توسلات وضراعة .. هو يبكى ليلقانى .. وأنا أحكى له عن بابا اللى بيضرب فلاحين العزبة بالكرابيج ...

وبعد عذاب شهرين .. وعدته على لقاء فى جروبى .. وقلت له إنى سأدخل فى الساعة السادسة بالضبط وسأكون لابسه فستانًا رماديًا ..

وفى الساعة السادسة والنصف كنت أدخل بفستان أحمر لأراه ملطوعًا على كرسى وبصره زائغ مثل الكلب !

وشعرت بسرور خبيث وأنا أتأمله فى أناقته ولهفته وخيبته ..

وحادثته بعد هذا وأنا أبكى ، واعتذرت له لأن بابا جاء من الصعيد فجأة وأخذنى إلى العزبة ولم أستطع الحضور فى الميعاد .

وعذبته شهرين آخرين ، ثم أعطيته ميعادًا ثانيًا فى « لاباس » واستعرضته وهو ملطوع كالتلميذ العبيط ..

ومازالت المهزلة مستمرة إلى الآن .. وأعترف لك أنى أصبحت ألتذ كثيرًا من رؤية سيدتى وهى تتحدث إليه فى التليفون وتبكى .. وألتذ منها وهى تشتمنى وتكرشنى .. وأخرج وأنا أتقصع وأغنى .

وألتذ أكثر وأنا أجر سيدى الأفندى من بيته وألطعه فى الشارع وأنا أتمشكح أمامه .. ولا أنا هنا ..

مارأيك ؟.. ألا يستحق كلاهما هذه المعاملة ؟.. أم أنى بنت سيئة ؟!

* * *

هذا نوع دلوع مودرن من صراع الطبقات .. ومعاملة جديدة مبتكرة تفكر فيها بنت من الطبقة العاملة لتعامل بها الطبقة الصايعة .

أعتقد أنهما يستحقان ..

براڤو .. وحذار أن تقرأ ستك الكتاب . وإلا فسوف تصبحين فى الشارع تأنى يوم ..

:: سهر الليل :: ليلاس ::
www.liilas.com/vb3

٨

فى حضن الموت

سيدى ..

اليوم هو اليوم العاشر من شهر عسلى .. وهو أيضًا بداية العام السبعين من عمرى ..

لقد تزوجت دجاجة صغيرة فى سن ابنتى ومنحتها ثروتى ومركزى اللامع كمأمور ضبط قديم .. وكانت حياتنا طوال الأيام – أيام العسل الأولى – سلسلة من المتع ..

إذ أشرق الصبح تيقظت عروسى كالعصفورة لتدلك مفاصلى ، وتجهز القرفة وتضع قدمى فى حمام من الماء والملح .. ثم تفتح عينى وتضع لى نقطتين من قطرة الزنك .. وتفتح أنفى وتضع نقطتين من الإفدرين ، ثم تضع الكوبرى الذهب فى فمى ، وتدهن ظهرى بالمرهم ، وتلف وسطى بالصوف .. وتسقينى ملعقة من ملح الفواكه وملعقة من الصودا الفوارة ونقطًا فاتحة للشهوة .. وتربت على جبهتى وتسوى الشعرة الوحيدة الباقية فى رأسى .. وتقول لى .. تيقظ .. يابيه .. لقد نمت طول الليل .. فأستيقظ وأمسح على رأسى ، وأتناول يدها أقبلها ..

– نانا .. ياحبيبتى .. إن هذه أول ليلة أنامها بدون منوم . وهذا بفضلك ياغزالى !

نعم ، فقد أصبحت أنام .. بدون أقراص .. وبدون حقن .. أصبحت أنام فى الليل وفى النهار وعلى الفطور والغذاء والعشاء .. وفى البلكون والترام

والشارع .. وزاد وزنى إلى الضعف .

إن الزواج نعمة .. يجب أن يتزوج كل الناس .. ويجب أن يتزوج أبى الأعمى أيضًا .. فالعزوبة لعنة ..

كان هذا رأيى منذ أيام .. ولكن كل شىء الآن قد تغير .. منذ زيارة أمى وأقاربى ..

لم تكن أمى كالعجائز تحمل إلى ابنها العريس زجاجات العطر والشربات ورءوس السكر ، وإنما جلبت لى .. صفًّا من زجاجات الكينا والزرنيخ والحديد والمر .. وكمية من مسحوق العرقسوس وحبوب القرطم ، وأهدى إلىَّ عمى حقنة شرجية وحزامًا للفتق .. ونظارة سميكة أقرأ بها الجرائد .. وأهدى إلىَّ خالى مصحفًا وحجابًا وعكازًا ومنشة ..

أى غرابة فى هذا ؟!

أتظن أن هذا سبب يكفى لأن تتشاجر عروسى .. وأن تصرخ .. وتشد شعرها .. ثم تغادر البيت ولا تعود ؟

أتظن أن هذا سبب يكفى لأن تهرب مع شاب صعلوك فى سن أولادى ؟ هل هذه هى الفضيلة ؟!

° ° °

سيدى صاحب الفضيلة ..

لقد ظلت عروسك تنام طوال الأيام العشرة من شهر العسل .. فى القرافة .. إلى جوار جثتك .. تنقعها كل يوم فى الماء والملح .. ولكن هذا لم يبعث فيك الحياة .. وإنما زاد نومك الأبدى عمقًا .. فكان من الطبيعى أن تلق بنفسها فى

البحر ، أو فى كبارية ، أو فى أحضان شيطان ..

تستطيع أن تتجرع الزرنيخ والحديد .. وتشد حزام الفتق على رقبتك .. وتفعل أى شىء يحلو لك .. ولكن الغلطة غلطتك ياصاحبى فقد نسيت أن الحياة لا تنام فى أحضان الموت أبدًا .

:: سهر الليل :: ليلاس ::
www.liilas.com/vb3

٩

كتكوتة ماما ..

أنا فتاة من عائلة كبيرة .. غنية ..

تعودت من صغرى أن أعيش حرة .. وأفعل ما يحلو لى ..

كنت آخر العنقود .. ودلوعة العيلة .. وحينما كانت أمى تقسو علىَّ بكلمة . كنت أبكى وأمعن فى البكاء ولا أكف عن العويل حتى تجىء مسرعة وتطبطب على وتقبل يدى .. ومعلهش ياروح ماما ياقلب ماما .. ياعنين ماما .. ياكتكوتة ماما ..

وقد كنت كتكوتة فعلا .. الكل بطعمنى .. ويدللنى ويهشكنى .. وأنا أغنى وأرقص .. وأملأ البيت بالزيطة والصراخ وأنفق ما فى يدى من نقود لأحصل على غيرها .. وأحطم ما أشاء من اللعب لأحصل على غيرها ..

وكنت أحيانًا أبكى لمجرد البكاء .. من الملل .

وأنا الآن سيدة فى العشرين تزوجت من سنتين ولكنى تعيسة فى زواجى ..

زوجى يحبنى .. يعبدنى .. ويعطينى ما أريده وأكثر .. ولكنى تعيسة ..

أنفق مرتب الشهر فى عشرة أيام ثم أبكى لأحصل على مزيد من النقود .. وأتجول بين فاترينات عماد الدين ، فيسيل لعابى على الفساتين والفوريرات .. فإذا حصلت على واحد منها فقدت اهتمامى به ، وبدأت أجرى وراء فستان آخر ..

أشعر أحيانًا بالملل من كل شىء .. ومن زوجى ، فأغدو عصبية لا أطيق

كلمة أو لمسة ..

زوجى يقول لى دائمًا . إنى أهمله .. ولكنى مسكينة .. إنى أنا التى أستحق العطف ..

إنى أعلم أنك سوف تشتمنى .. ولكن أرجوك .. حاول أن تفهمنى .. لا تكن مثل زوجى ..

إن أهلى يقولون إنى زوجة سيئة .. كلهم يضعون الذنب على رأسى .. لا أحد يفهمنى .. حتى هو .. زوجى .. يثور علىّ هو الآخر ..

كنت أتوقع منه هو على الأقل وهو الذى يعاشرنى ويعرف رقة أعصابى وتلفها .. أن يعطف علىّ ويفهمنى .. ولكنه لا يريد أن يفهم ..

إنى أتعذب .. حتى العطف لا أجده ..

لقد تعودت أن تجاب لى كل مطالبى .. وأن أعيش حرة .. بلا مسئوليات ..

قد يكون هذا شيئًا رديئًا .. ولكنى نشأت على هذه الرداءة ، وأصبحت لا أطيق أن أحرم شيئًا ..

أعصابى تثور إذا حيل بينى وبين أى شىء حتى ولو كان هذا الشىء نزوة تافهة ..

لا تقل إنى امرأة سيئة .. حاول أن تفهمنى أرجوك ..

• • •

أنت تطالبين بحق جديد لم ينزل بعد فى أى دستور من الدساتير .. تطالبين بحق ارتكاب الخطأ ..

تريدين أن يكون إهمالك لزوجك وإحساسك بالملل نحوه حقوقًا تزاولينها كما

كنت تزاولين تحطيم اللعب فى طفولتك .. وعلى زوجك أن يقابل هذا الإهمال بالعطف عليك .

أعتقد أن هذا سوف يحدث فعلا ..

سوف يحدث لسوء حظك ..

إن زوجك يثور الآن لأنه يحبك ولن يدوم هذا طويلا .

إنه سيظل يثور حتى يتعب من ثورته وحبه ..

والحب كالتنفس والنبض يصيبه اللهاث والتعب إذا أرهق بالمطالب . ثم يتراخى .. ويتحول إلى يأس .. ثم إلى عطف ..

وحينما يبدأ زوجك ينظر إليك كحالة مرضية ميئوس منها ويبدأ يعاملك بعطف يكون قد كف عن حبك فعلا .. ويبدأ يبحث عن حب عند امرأة أخرى ..

وسيكون هذا هو العقاب الذى ينزل بك .. والصدمة التى تفيقك من الترف والدلال والدلع الذى تعيشين فيه ..

إن أحسن علاج لامرأة تقول : أنا مسكينة .. أنا رديئة .. هى أن تكون أردأ منها !.

١٠

الحياة بدون كبت

أنا كما يراني الناس من الخارج فتاة عادية في التاسعة عشرة .. مرحة .. منطلقة .. الكثيرون يحسدونني على انطلاقي .. فأنا أبدًا دائمًا ضاحكة عابثة .. ولكن قلبي من الداخل يدمى .. ولا أحد يعلم ما أعانيه ..

أحببت منذ ثلاث سنوات .. وكان حبًا أكبر من عمري .. وكان هو في الثلاثين أكبر مني بأربعة عشر عامًا .. وعلمني كل شيء .. كنت كتابًا مقفولا وموضوعًا على الرف . وجاء هو وفتحه وقرأ كل سطر فيه .. وكل كلمة فيه .. وكنت سعيدة .. السنة الماضية مثل هذا الوقت كنت أسعد مخلوقة في الوجود .. فأنا جميلة خفيفة الظل محبوبة من الجميع ، ومن عائلة غنية أستطيع الحصول على جميع طلباتي .. وأهم من هذا كله كان هو بجانبي .. حبيبي ..

كنا شبه مخطوبين أمام الناس وشبه متزوجين أمام أنفسنا وأمام الله ، عرفت معه كل متع الحب .. وكل مسراته .. وقد حرصنا معًا على ألاّ يتجاوز عبثنا الحدود .. فظللت عذراء .. ولكنه في آخر لحظة تركني .. وهجرني إلى غير رجعة . قال إنه لا يستطيع أن يعصي أمر والدته .. وقد اختارت له والدته ابنة أختها اليتيمة .. وخطبتها له .. وهو لا يستطيع أن يرفض لها طلبًا فهو وحيدها ..

وتعذبت .. ومرضت .. ثلاثة أشهر ..

ثم بدأت أضمد جراحي .. وأقاوم عذابي .. وأرسم الضحكة على شفتي .. وأغتصب الابتسامة .. وبدأت أعود إلى الحياة ..

وعرفت أحد زملائي في الكلية . وصاحبته ..

ولم يكن حبًا هذه المرة .. فأنا أعلم أني لا أحبه .. وأنه لا يحبني .

ولكني كنت أبحث عن سلوى ..

ونحن نذهب إلى السينما حيث نقضي الساعات .. لا نرى الفيلم ولا نرى ماحولنا .. وإنما نظل نتبادل القبلات والعناق حتى يضيء النور ..

وفي الشباب .. وفي نشوة السن المراهقة التي نمر بها – نحن الاثنين – يشعر كلانا بأننا نقضي ساعات لذيذة ..

ولكن بعد ذلك .. وبعد أن تمضي هذه الساعات .. يبدأ عذاب الضمير .. وأراني أصرخ في نفسي .. إني ساقطة .. مجرمة .. بدون أخلاق .. مذنبة .. مصيرها جهنم .

ولكن أعود فأسأل نفسي . وماذنبنا إذا كانت هذه غرائزنا التي ركبت فينا .. ورغباتنا التي خلقت معنا ..

إني لو لم أفعل هذه الأشياء .. فسوف أظل مشغولة الذهن طول الوقت أفكر فيها وأتمنى أن أعملها .. وهذا ألعن ..

ماذنبنا إذا كانت هذه طبيعتنا .

وأبكي .. وأصلي .. وأصوم ، ثم أعود إلى فعل هذه الأشياء .. وأنا أسأل نفسي في حيرة .. ماالفرق بين ما يفعله المتزوجون وغير المتزوجين .. إنها ورقة .. مجرد ورقة ..

كيف تكون رخصة الفضيلة مجرد ورقة .. ؟ ولماذا يعتبر الناس تلامس اليدين في المصافحة عملاً عاديًا لا غبار عليه .. وتلامس الشفاه في القبلة عملا فاضحًا شائنًا .. أليست كلها أجزاء جسم واحد .. ؟!

ومامعنى الفضيلة هنا .. ؟

وكيف يكون تحريم أشياء هى فى صميم طبيعتنا .. فضيلة .. ؟

لماذا لا نعيش على الطبيعة . بدون تعقيد .. وبدون كبت .. وبدون تحريم ؟

* * *

قصدك لماذا لا نعيش كالحيوانات فنتطلق مع غرائزنا بلا ضابط .. وبلا نظام .. وبلا هدف سوى هاتف اللحظة .. ولذة الساعة ! ! مستحيل طبعًا .. فهذا معناه أن نتخلى عن إنسانيتنا تمامًا .. ونعود إلى عصر الغابة .

فالآدمية لا تبدأ إلا من هذه اللحظة .. من اللحظة التى يضبط فيها الإنسان رغبته ويكبح جماحه ويلجم شهواته ويتصرف بمقتضى أهداف سامية كالرحمة والإخاء والشجاعة والتضحية والبذل فى سبيل الآخرين ، والعمل على إقامة نظام .. والانقطاع للعلم والتحصيل والمعرفة وخدمة الناس .. أما إذا انقلب الوضع وأصبحت لذات الجسد العابرة .. ونزوات الغريزة مفضلة على هذه الأغراض السامية ، فإن الإنسان يفقد إنسانيته وينقلب حيوانًا .. والنظام الاجتماعى كله ينهار من أساسه ..

والزواج ليس مجرد ورقة كما تقولين .. الزواج تنظيم اجتماعى للغرائز حتى يكون لكل ابن يولد أب مسئول عنه .. وحتى لا تتحول العلاقات الجنسية إلى فوضى بلا رابط .. وتختلط الأحساب والأنساب .. ولا يعرف ابن أباه ..

والواقع أن الإنسان حينما يضبط رغبته ويكبح شهوته .. فإنه لا يمكن أن يقال إنه يكبت طبيعته .. فإنه فى الحقيقة يحرس صوت الغريزة . ولكنه فى الوقت نفسه يطلق صوت العقل .. وهو يشد اللجام على الحيوان الهائج فى نفسه ، ولكنه يطلق العنان للوجدان والعاطفة والفكر .

ولا يمكن أن يقال فى أمر طبيعتنا إنها مجرد رغبات حيوانية .. فإن العقل أيضًا من طبيعتنا .. والعاطفة والوجدان والروح .. هى صميمنا .. وهى أكثر أصالة فى طبيعتنا من نزوة الجنس وصرخة الحيوان الجائع .

أما حكاية تلامس الشفتين فى القبلة وتلامس اليدين فى المصافحة .. فهى مغالطة واضحة .. ولن أحاول أن أناقشها .. فأنت تعرفين جيدًا الفرق بين ما تفعله القبلة وبين ما تفعله المصافحة .. ومقيش داعى نكذب على بعض ..

أما حكايتك مع صاحبك . فهى حكاية يجب أن تنتهى .. فأنت باعترافك لا تحبيه وهو لا يحبك . فالعلاقة إذن علاقة حيوانية لإشباع نزوات عارضة .. وهى علاقة تخلو من عنصر الصدق .. علاقة يهين كل منكما فيها جسمه .. ويهين نفسه .. وهي لهذا يجب أن تتوقف .. لا بسبب الدين .. ولا خوفًا من جهنم فقط ولكن أيضًا بدافع من الإنسانية ومن احترام كل منكما لجسمه ونفسه .

:: سهر الليل :: ليلاس ::
www.liilas.com/vb3

١١

عريان أفندى

أنا شاب فى العشرين .. مازلت إلى الآن طالبًا بالثانوية العامة .. **مظهرى** محترم ومؤدب جدًا .. من يعرفنى لأول مرة يقول عنى إنى خجول وطيب ومهذب .. وهذه فى الحقيقة هى المعاملات الظاهرة التى أبدو بها أمام الناس .. ولكن فى الخفاء حينما أنفرد بنفسى . فى غرفتى ، أتحول إلى شخص آخر تمامًا .. ما أكاد أجد نفسى وحدى حتى أغلق باب الغرفة وأحكم إغلاقه .. ثم أفتح الشباك المطل على الجيران . وأتجرد من ثيابى ..

وأروح أتمشى فى الغرفة وأنا عريان .. وأشعر بالسرور إذا أحسست أن هناك امرأة تلمحنى حتى ولو كانت خادمة ..

يحدث أحيانًا أن تبصق على المرأة التى ترانى على هذه الحال . وأحيانًا تبتسم ..

وحدث أن أنشأت علاقات بهذه الطريقة .. وهى طبعًا علاقات قذرة مع خادمات ونساء ساقطات ..

والمشكلة أن هذه العادة اللعينة تتحكم فى سلوكى وتستعبدنى تمامًا وتأمرنى فأطيعها وكأنى عبد .. لا أستطيع لها دفعًا .. ومهما لاقيت من احتقار وازدراء واشمئزاز لا أكف عن التمادى فيها ..

والغريب أنى فى وجودى فى مجتمع أتصرف بأدب وخجل شديد وكأنى شخص آخر ..

حدث أن كانت لى علاقات بفتيات محترمات تعرفت بهن فى أماكن عامة .. وكنت أدعوهن إلى نزهة على النيل أو إلى سينما ..

ولكنى كنت دائمًا أخسرهن فى النهاية .. بسبب مسلكى الشاذ فى السينمات .. فى اللحظة التى ينطفئ فيها النور ويسود الظلام .. كان يركبنى ذلك الشيطان .. فأتصرف بدناءة .. وقذارة ... وتكون النهاية ..

وأنا لا أفعل هذه الأشياء بشقاوة .. ولكنى أفعلها وأنا مغلوب على أمرى .. وأنا أشعر بتعاسة لاحد لها ..

أنا مريض .. أنا أعلم أنى مريض ..

وأنا فى دراستى أرسب على الدوام .. وخائب خيبة لا حدلها ، وفى أعماق أحتقر نفسى .. وأشعر أنى ملوث .. ولكن ماذا أفعل ..

هل هناك حل لرجل مثلى ..

* * *

حالتك يسميها فرويد « عقدة الاستعراض » ..

وفرويد يقول إننا كلنا ونحن أطفال نحب أن نتعرى ونخبط على جسمنا العارى ونلهو به .. ولكن هذه الرغبة تتطور إلى الحالة الطبيعية السوية عند البلوغ ، فلا نعود نلتمس لذتنا بهذا الأسلوب الطفلى .. وإنما نتجه إلى الجنس الآخر بالغريزة الطبيعية التى توجهنا إلى الحب والزواج .

ولكن الجمود عند المرحلة الطفلية قد يحدث لسبب أو لآخر بسبب ظرف تربوى شاذ أو حادث أثناء الطفولة .. فتنشأ عقدة الاستعراض .. وتستمر هذه الرغبة الشاذة فى العرى فى سنوات البلوغ وبعده ..

والعلاج فى هذه الحالة يحتاج إلى تحليل نفسانى وإلى استكشاف سنوات الطفولة الأولى وما حدث فيها عن طريق الأحلام .. والتذكر ، وهذا يحتاج إلى طبيب نفسانى محترف ..

١٢

عقدة التفوق

أنا فتاة أبلغ من العمر الثالثة والعشرين طالبة فى كلية الطب .. متوسطة الجمال .. ظريفة محبوبة .. منذ السنة الأولى وأنا أزامل طالبًا .. وأحبه ويحبنى ...

كنا نقضى طول الوقت بالكلية معًا .. ونذهب معًا إلى النادى والملاعب .. ونقضى آخر الأسبوع فى السينما أو فى الحدائق .. ونتحدث فى آمالنا ومستقبلنا ، ونرسم الخطط للسنوات القادمة ..

وتعاهدنا على الزواج بعد التخرج .

قال لى إنه لا يريد أن يأخذ مليمًا من أبيه .. وإنه لا يريد أن يتزوج وهو يعيش عالة على غيره

وهكذا كان انتظارنا طبيعيًا ..

ولكن حدثت المفاجأة ..

فى الإجازة الصيفية من العام الأول .. ونحن نعلق الآمال .. ونحلم بالسفر إلى الإسكندرية وقضاء أيام جميلة على الشاطئ ، والاشتراك فى رحلة الكلية إلى سوريا .. تغير فجأة ..

فجأة .. وبدون سبب واضح .. اختفى تمامًا بعد إعلان نتيجة الامتحان .. وفشلت كل محاولاتى للعثور عليه ...

وعلمت أنه رسب فى الامتحان .. وأنى نجحت .. ولكنى لم أستطع أن أربط بين هذا الرسوب وبين اختفائه من حياتى .

إن الامتحانات حظوظ .. وليس فى رسوبه مايخجله وما يغضبنى ..

وما ذنب حبنا ..

إن حبنا أبقى وأعظم من أى نجاح أو فشل فى امتحان أو غيره وأنا أحبه مهما يحدث ..

وتعذبت شهورًا .. وأنا أفكر .. وأتساءل .. ثم كتبت له خطابًا طويلا ألومه .. وأعتب عليه .. وأذرف الدموع من أجل حبنا .. وأستحلفه بالأيام الجميلة أن يعود إلىَّ

وعاد إلىَّ .. وتقابلنا .. ولكنه كان ساهمًا شاردًا متجهمًا ..

لم يكن طليقًا بشوشًا مرحًا كعادته .. وحاولت المستحيل لكى أعيد إليه مرحه .. وحاولت أن أفهم سر عذابه .. ولكنه لم ينبس بحرف .. وكان يقول دائمًا حينما أشير إلى أمر رسوبه .. إن هذا أمر تافه .. وإنه ليس بالرجل الذى يفقد روحه من أول خذلان ..

ماهو إذن السر فى وجومه .. ؟ لا أعرف ..!

وتكرر رسوبه .. وتكرر اختفاؤه .. وتكرر نجاحى فى الوقت نفسه ..

وتكررت محاولاتى للمحافظة عليه واسترجاعه ..

والآن أنا فى امتحان التخرج الأخير .. وهو مازال فى السنة الأولى يتعثر فى كتب التشريح ..

وبعد شهور أكون قد أصبحت طبيبة .. وأكون فى الظروف التى تسمح لى بمعاونته ماليًا .. والإنفاق عليه .. والزواج به برغم كل شىء .

وأنا أحبه ...

ومسألة رسوبه لا تهمنى ..

أريده بأى ثمن .. وهو يتهرب منى وينكمش فى نفسه أكثر وأكثر ويقابل عاطفتى المتأججة بالبرود ...

وأنا أبكى حزنًا عليه .. وحزنًا على نفسى ..

ماذا أفعل لأسترجعه وأسترجع حبه .. وأتزوجه .. ؟

ماذا أفعل ؟ ساعدنى ..

° ° °

ساعديه أنت واتركيه فى حاله .. ولا تحطميه أكثر مما حطمتيه .

إنك لا تفهمين عقلية الرجل أبدًا ..

إن الرجل ورث تقليدًا ثابتًا من آبائه وأجداده .. إنه قوّام على المرأة .. ووصى عليها .. ومشرف على بيتها وحياتها . ومتفوق عليها بحكم كونه رجلا ..

قد تكون هذه التقاليد الموروثة موضعًا للجدل .. ولكنها فى دمنا .. مهما تكلمنا عن المساواة ..

إن عمرها خمسة آلاف سنة ..

منذ أيام الفراعنة والملوك رجال والأنبياء رجال والعباقرة رجال .. وحتى هذه اللحظة تجدين فى جمهورية مصر العربية ثلاثين ملحنًا كلهم من الرجال .. مع أن فن التلحين لا يحتاج إلى عضلات .. ولا إلى رجولة .. إنه مجرد تفوق فى شىء .

ونحن ورثنا التفوق فى الواقع وفى التاريخ وفى الماضى القريب والماضى البعيد .

والكلام عن المساواة لا يزيد عمره عن سنوات ..

ونحن نحاول أن نعطى المرأة الفرصة ، ولكن التاريخ أقوى منا .. لأنه بعيد قديم طويل ضارب بجذوره فينا ..

ماذا نفعل .. إننا مساكين .. نحن ضحايا هذا الميراث .. ولابد أن نتفوق لنشعر أننا طبيعيون .. وأننا رجال .. نثق فى أنفسنا .

إن رسوب زميلك .. ونجاحك باستمرار .. شىء فظيع لا يمكن أن تتصورى أثره لأنك لست رجلا ..

وزواجك به على أساس الإنفاق عليه .. سوف يزيد مشكلته تعقيدًا ويفقده الثقة بنفسه أكثر وأكثر ..

لا يوجد حل .. إن الواقع قد تراكم ضدك ..

إن الزوجة المتفوقة الذكية تدعى دائمًا أنها غير متفوقة قليلة الحيلة وعاجزة . وفى حاجة إلى نصيحة رجلها لتكسبه .. وتكسب حبه ..

إن أتعس مافى رجلك أنه محكوم عليه بأن يكون قويًا برغم أنفه

:: سهر الليل :: ليلاس ::
www.liilas.com/vb3

١٣

حكاية الحب الأول

نحن روح واحدة فى ثلاثة أشخاص .. أنا وهو وهى .. صديقان هى ثالثتنا .. تعارفنا .. وكنا نتزاور منذ الصغر .. ونلعب معًا .. ونخرج معًا ..

كنا نقول لها أسرارنا ونشكو لها متاعبنا .. وكانت هى تحكى لنا حياتها وتشكو لنا زوجة أبيها القاسية .. وكيف تطهو وتغسل وتكنس الشقة وحدها .. وتبكى بالليل دون أن يشعر بها أحد ..

وكانت جميلة وطيبة .

وكبرنا .. وكبرت معنا .. وكبرت معنا آلامنا .. وكنا نتكلم فى كل شىء إلا الشىء الوحيد الذى يؤرقنا .. حبنا ..

كنت أحبها ولم يكن يشغلنى غير شعور واحد هو حبى لها .. ولكنى لم أكن أجد القوة لأصرح بهذا الحب .. كنت أخجل منها ومن صديقى ، وكنت أسمى هذا الحب صداقة لأخدع نفسى ..

ولكنى لم أستطع أن أستمر فى الكتمان .. وراودتنى نفسى أن أرسل لها خطابًا أشرح لها فيه ما أعانيه من الوجد ، وكتبت الخطاب ودسسته فى يدها .. ومرت أيام وأنا لا أقابلها ، وأنجبها من الخجل والخوف والإحساس بالذنب .. ولكنها سعت إلى بنفسها وجاءتنى وهى تبتسم وفى يدها رد على خطابى ..

وكان ردًا حارًا اعترفت فيه أنها تبادلنى الحب .. وليلتها بت طول الليل مسهدًا أتقلب على جنبى من الفرح ..

واستمرت بيننا الخطابات أكثر من سنة ..

وفى أحد الأيام لم أستطع أن أكتم السر عن صديق صارحته بالحقيقة ، وحدثته عن حكاية الخطابات المتبادلة .. وهنا كانت المفاجأة فقد نظر إلىَّ فى دهشة واستنكار .. ثم دخل غرفته وأخرج حزمة من الخطابات من درج مكتبه .. وكلها بخطها وكلها تذوب حبًا ووجدًا وهيامًا .. وبعض العبارات مكررة فى كلامها .. عبارات مثل :

أنظر إلى نجوم الليل فأتذكر سواد عينيك الجميلتين .. القمر مضىء مثل ابتسامتك ..

وبعض العبارات منقولة من خطاباتى أنا لها .. ومن تغزل فيها .. وألجمتنا الصدمة .. ولبثنا ننظر إلى بعض فى ذهول ..

كان من الواضح أننا كنا ضحية مهزلة مثلتها علينا – نحن الاثنين – وأننا نبكى ونسهر ونتعذب على لا شىء .. على كلام فاضى ..

وذهبنا إليها لنلقى فى وجهها بالحقيقة .. فبكت واعترفت .. وقالت إنها تحبنا نحن الاثنين .. وإن حبها لنا ينمو معها منذ الصغر .. وإن كل واحد فينا صورة من الآخر .. لا تستطيع أن تفضل أحدًا ولا أن تختار أحدًا .. ولا أن تستغنى عن أحد .. هذه هى الحقيقة .. وليظن كل منكما ماتشاء له ظنونه .. ولكنى أحبكما .. وهذا حبى الأول والوحيد ..

والمهم الآن أننا نحبها .. بالرغم من هذه الخدعة ..

وأنا لا أدرى ماذا يدور فى قلب صديقى .. ولكنى أعلم بما يدور فى قلبى .. وأعلم أنى أحبها وأعبدها .. وأنى أغتفر لها كل ما تفعل .. وأن حبى لها سيكون

حبى الأول والأخير فى الدنيا ..

وحلمى الوحيد أن أتزوجها .. وأعيش معها ..

مارأيك .. ؟

* * *

لو أن الظروف جمعتكما على أى فتاة أخرى لوقعتما فى شراك حبها تمامًا كما حدث مع هذه الفتاة .. وهذه دائما حكاية الحب الأول فى كل مكان .. خطابات وسهر ودموع ووعود بالإخلاص وخيبة أمل .. مع أية فتاة تلقى بها المصادفة .

وحكايات الحب الأول مادة جيدة للذكرى .. ولكنها لا تصلح لتكون مادة حياة وزواج ..

إنها الحرارة التى تبثها المراهقة .. واللهب الذى يبثه الشباب حوله فى كل مكان ..

احتفظ بالخطابات .. لتقرأها حينما تكبر .. واحتفظ بالقصة كلها فى الدرج معها ..

إنها الآن تثير دموعك .. ولكنها غدًا لن تثير فيك إلا ابتسامة لطيفة ..

١٤

الحنان

أنا مازلت صغيرة .. اعذرنى فى أسلوبى الضعيف إنى أشعر بالحب نحو كل الناس ونحو أصدقائى ، وهم يحبوننى ويبادلوننى الإخلاص والتضحية .. وأخى كان مثلى وهو صغير ، ولكنه فقد الكثير من إخلاصه وحنانه حينما كبر وأصبح جافًا جامدًا .. لا يؤمن بالعواطف .

وأبى وأمى أكثر منه جفافًا .. وأقل منه إيمانًا بالحب .. وهم يقولون لى إن كل شىء فى الدنيا مصلحة .. وإن كل واحد فى الدنيا يجرى خلف منفعة .

والغريب أن حكايات أمى وهى صغيرة تدل على أنها كانت عاطفية تؤمن بالحب والإخلاص مثلى ..

ماذا يحدث للإنسان حينما يكبر ليفقد حنانه وحبه وإيمانه بالإنسانية ..

لماذا يصبح الناس أنانيين حينما يكبرون .. ما السبب .. ؟

من تجاربى البسيطة أميل إلى أن السبب هو عدم كفاية الحب والحنان الذى نبذله للناس فى هذه الدنيا ..

أنا مثلا .. عندما أظهرت لأبى – الذى كنت أظنه عصبيًا قاسيًا – حنانى .. وأبديت له حبى بدلا من خوفى .. وجدته يتحول إلى إنسان رقيق غاية فى الرقة .. ورأيته يفعل المستحيل ليحقق لى رغباتى .. ولاحظت أنه بدأ يضبط أعصابه حتى لا يبدو أمامى قاسيا .

كذلك أمى لما حاولت أن أتفاهم معها بدلا من العناد .. وجدتها تحاول أن

تفهمنى وتسمح لى بكثير من الحريات .

وعندما أعددت العشاء لاخوتى الساهرين فى الخارج وكتبت لهم تحية المساء على ورقة .. طبعوا على خدى قبلة وأنا نائمة .. وفى الصباح لم يتعاركوا على المصروف ..

مارأيك .. أليست المشكلة كلها هى مشكلة حاجتنا إلى الحب .. أم أنى صغيرة كما تقول أمى .. ولا أفهم فى الدنيا .. ؟

° ° °

أنت لست صغيرة . أبدًا .. ربما كنت صغيرة فى السن .. ولكنك كبيرة فى القلب والعقل .. أكبر منا كلنا .

لقد استطعت بفطرتك الصافية أن تدركى سرًا كبيرًا من أسرار الدنيا .

إن الإنسان يبدأ حياته .. يتدفق بالحب والحنان والتفاؤل والثقة .. ثم يجف هذا النبع العاطفى فى قلبه كلما كبر .. ويتحول مع الزمن إلى عجوز أنانى بخيل لا يحس إلا بمصلحته ولا يجرى إلا خلف منفعته ..

والسبب أن أحلامه الصغيرة وعواطفه الصافية تصطدم مرة بعد مرة بما يخيب أمله .. ويزلزل ثقته فى الدنيا وفى الناس

حبيبته تهجره وزوجته تكذب عليه .. وصديقه يستغله ولا يجد فى قلبه رصيدًا يغطى هذا الفشل .. ويحفظ له ابتسامته وتفاؤله فيفقد النضارة ويجف ويقسو .. ويتحول سخطه إلى سخط على الدنيا كلها ..

والسبب كما قلت أنت .. أنه لم يجد كفايته من الحنان .. لم يجده فى الدنيا .. ولم يجده فى قلبه .. فأفلس ..

والدليل على هذا أن القلب الكبير لا يحدث له هذا الجفاف مهما كبر

وشاخ . لأنه يجد فى نفسه القدرة على بذل الحنان دائمًا مهما حدث له .. ومهما تلقى من صدمات ..

وبهذه القوة وحدها يسترد حب الناس الذى فقده .. ويسترد ثقته فى الدنيا .

وهذا هو ماحدث لك مع أبيك وأمك ..

إن مشكلتنا جميعًا هى كما تقولين فى خطابك .. حاجتنا إلى الحب . إن اعترافك الصغير البسيط هو أجمل وأصدق ما قرأت منذ بدأت فى كتابة هذا الباب .

:: سهر الليل :: ليلاس ::
www.liilas.com/vb3

١٥

تحضير الأرواح

بدأت مشكلتى حينما بدأت أحضر الأرواح عن طريق السلة .. وكان نتيجة لتحضيرى هذا أننى أصبحت فردين فى شخص واحد .. فقد تقمصتنى روح من الأرواح تدعى نعيمة .. وسيطرت هذه الروح على تفكيرى لدرجة أنى أصبحت أعلم كل شىء عن نفسى وعن بقية الأشخاص الذين أتعامل معهم دون سؤالهم .. وأصبحت عندى القدرة على التنبؤ عن أشياء كثيرة من دون أن أراها ..

ودامت علاقتى بهذه الروح لدرجة أنى عاشرتها معاشرة الأزواج ..

وكنت أحس بأن تفكيرى قد بات مشلولا .. ومافائدة التفكير .. وأنا بإمكانى أن أتنبأ بكل شىء قبل وقوعه .. بالعمل الذى أعمله .. بالطعام الذى آكله .. بالخطوة التى أخطوها .. بكل شىء .. كل شىء .

وكانت نتيجة هذا المس الروحى أن انهارت أعصابى وأشرفت على الانتحار والجنون .. وبحثت عن مساعدة فلم يصدقنى أحد .. حتى المشرفون الاجتماعيون فى المدرسة ضحكوا علىَّ ..

وأخيرًا قادتنى ظروفى إلى جمعية روحية .. اشتركت فيها وأصبحت عضوًا مريضًا بها أعالج بالجلسات الروحية ..

وتحسنت صحتى ولكن لم أشف تمامًا .. وكنت أشعر حينما كنت أذهب هناك أنى لا أستطيع صعود السلم مهما بذلت من مجهود ..

وانقطعت عن الذهاب .. وعدت طبيعيًا .

ولكن منذ شهر بدأت المناوشات بين هذه الروح وبيني من جديد .. والمشكلة أنها تسبب لي متاعب جسمانية لا علاج لها .. والآن وقد بلغت من العمر ٢٢ سنة وأنا بهذه الحال .. لا أستطيع أن أكاشف أحدًا بهذه المتاعب .. حتى لا يتهمني بالجنون .. ولا أعرف ماذا أفعل .. وأخشى أن أرسب في الامتحان كما رسبت في العام الماضي .

وأخشى أن تعود هذه الروح إلى وأرجو أن تمد لي يد المعونة .

* * *

أولا هذا كلام فارغ ..

تحضير الأرواح بالسلة كلام فارغ .. وحكاية الروح التي اسمها نعيمة التي ركبتك وعاشرتها وعاشرتك معاشرة الأزواج وفتحت لك مغاليق الغيب .. فأصبحت مكشوف الحجاب .. كلام فارغ .. ولو كنت مكشوف الحجاب حقًا لعرفت أسئلة الامتحان وعرفت الأجوبة ، ولما رسبت في الامتحان كما تعترف في خطابك .. ولكان في إمكانك أن تذهب إلى سباق الخيل لتلعب وتكسب مليون جنيه على كل الخيول الرابحة .. مادمت تعرفها مقدمًا .. ولرقصت فرحًا بهذا الزواج الروحي بالست نعيمة بتاعتك ، فهو زواج مربح جدًا لا يحتاج إلى إيجار شقة ولا إلى عفش .. ولا مسئولية بيت وأكل وشرب وأولاد .. إنه لذة صرفة يابلاش بدون تكاليف وعليها بقشيش كمان هو الاطلاع على الغيب مجانًا ..

انزل إلى الشارع وابحث عن ورق اليانصيب الرابح مادمت تعرفه مقدمًا ..

واشتره .. واكسب ألف جنيه يوميًا .. ولا تبك على حظك ولا تذهب لجمعية روحية لتعالج نفسك .. وليه .. واحد يعالج نفسه من مرض هو الجنة بعينها ..

لكن الحقيقة أن الحكاية كلها كلام فارغ .. وأوهام في أوهام .. وخيالات أوحيت بها إلى نفسك وصدقت نفسك .. وإيمان ساذج رحت ضحيته ..

وأؤكد لك أنك ستشفى تمامًا في اللحظة التي تفقد فيها إيمانك بتلك الأرواح الخرافية ..

وسوف تفقد إيمانك في اللحظة التي تناقش فيها نفسك في هدوء وثقة وبدون خوف ..

وتأكد أنه لا شيء في هذه الدنيا يستحق أن يخاف منه الإنسان إلا الله وحده ، فالإنسان قد أثبت أنه مخيف أكثر من الشيطان نفسه ..

فهو قد صنع القنبلة الذرية وطار في صاروخ إلى القمر .. وركب كوكبًا ودار به حول الأرض ..

ومن الذي ركب الكوكب ودار به حول الأرض ؟!

امرأة اسمها فالنتينا ..

يارجل عيب .. فوق لنفسك ، مش عيب نبقى في عصر فالنتينا ... وأنت في عصر نعيمة .